كلمة العدد

عنوان العدد: الدين، والسياسة، والمجتمع في إسرائيل

مهند مصطفى وعرين هواري

تُعتبر دراسات علاقات الدين بالدولة والمجتمع من الحقول المعرفيّة الهامّة في العلوم الاجتماعيّة. وقد استأنفت العلوم الاجتماعيّة في العقود الأخيرة على مقولة تراجُع دَوْر الدين وانحساره في المجال العموميّ أمام التوجّهات العلمانيّة والدولة الحديثة. وعزّزت الأحداث الأخيرة في أوروبا والولايات المتّحدة الأمريكيّة التوجُّه القائل بعودة الدين إلى الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة، والذي تعاملت معه العلوم الاجتماعيّة على نحوٍ متباين معرفيًّا، بين توجُّهات ناقدة ترى خطورة إعادة حضور أو استحضار الدين إلى المجال العموميّ والحيّز السياسيّ والأيديولوجيّ، وتوجّهات حاولت التكيّف مع هذه الظاهرة عبر اقتراح توجُّهات وأطر نظريّة ترمي إلى تكييف حضور واستحضار الدين في المجتمع والسياسة. وعلى الرغم من عالميّة هذه الظاهرة، فإنّ دَوْر الدين في الحالة الإسرائيليّة والصهيونيّة يحتاج إلى مقارَبات نقديّة جديدة ومختلفة، مختلفة في سياقها ومختلفة في مقاربتها؛ فسياق الدين في الحالة الإسرائيليّة والصهيونيّة يختلف عن ظاهرة عودة الدين إلى المجال العموميّ في العقود الأخيرة، كما أنّه يحتاج إلى مقارَبات نقديّة ونظريّة وبحثيّة مختلفة عن تلك المقارَبات التي تتناول الظاهرة العالميّة.

يأتي هذا العدد في أعقاب اليوم الدراسيّ الذي نظّمه مركز مدى الكرمل بالتعاون مع برنامج ماجستير دراسات إسرائيل في جامعة بير زيت، وذلك في تشرين الأوّل عام 2017، حيث يتضمّن ملفّ العدد خمسة مقالات قُدِّمت خلال اليوم الدراسيّ، وتتناول تشابُك الدين مع المجال العموميّ في إسرائيل في مجالات مختلفة: السياسة والتعليم والفكر، ومقالَيْن آخرَيْن خارج موضوع الملفّ يتناول أحدهما مسيرات العودة في قِطاع غزّة، ويتناول الآخَر قراءة في كتاب حول حضور اللغة العربيّة في المجال الأكاديميّ الإسرائيليّ.

في مقال أنطوان شلحت "التطلّعات الجديدة للصهيونيّة الدينيّة"، يناقش الكاتب قضيّة صعود التيّار الدينيّ الصهيونيّ في السياسة الإسرائيليّة وتأثيره البالغ على المجال العامّ الإسرائيليّ في مجالات عديدة، وفيه يقول شلحت إنّ هذه التطلّعات "تتّسق مع صعود ما بات يُعْرَف بأنّه "يمين جديد" في إسرائيل، يتّسم -أكثر ما يتّسم- بأنّه يتباين في توجّهاته الرئيسيّة عن اليمين التقليديّ الذي كان يمثّل عليه حزب الليكود الحاكم الخارج من رحم الصهيونيّة التنقيحيّة، ويجاهر من ناحية تطلّعاته بأنّه يسعى لتكريس هيمنته على مؤسّسات الحكم والخطاب العامّ، ويتبنّى من ناحية فكريّة مفاهيم الصهيونيّة الدينيّة، ولا سيّما حيال القضيّة الفلسطينيّة".

في المقال الثاني، وهو بعنوان "التعليم في إسرائيل من منظور نظام الأپارتهايد في جنوب أفريقيا"، يعالج د. أيمن اغباريّة تداخُلَ الدين في جهاز التعليم الإسرائيليّ في السنوات الأخيرة من خلال مقارنته بنظام التعليم في فترة نظام الفصل العنصريّ في جنوب أفريقيا، حيث تهدف الورقة -كما يشير الكاتب- إلى تحليل "اشتباك الدين بالتعليم في نظام الأپارتهايد في جنوب أفريقيا، وتتبصّر في إستراتيجيّات تسويغ الفصل العنصريّ ضمن ذلك النظام. كذلك تحاول أن تستكشف نقاط التماسّ بين الحالة الإسرائيليّة وحالة الأپارتهايد في ما يتعلّق بتوظيف الدين لخدمة التفوّق والتراتبيّة والإقصاء".

في مقال أشرف بدر "ثقرطة الجيش الإسرائيلي"، يناقش الكاتب ازدياد تأثير السلطة الدينية على الجيش الإسرائيلي، مشيرا أن "ازدياد نسبة الضبّاط المتديّنين في الجيش الإسرائيليّ دفع بعضَ الإسرائيليّين للقول إنّ الجيش الإسرائيليّ لا يمرّ بعمليّة تديُّن فحسب، بل يمرّ كذلك بعمليّة ثَقْرَطة (من "الثيوقراطيّة" -أي السلطة الدينيّة)، عبْر تغلغل يزحف بصورة تدريجيّة إلى السلطات الدينيّة المدنيّة للجيش، في محاولة منها للهَيْمَنة عليه في أكثر من مستوى".

ويطرح الباحث أحمد القاضي، في مقاله الذي يحمل العنوان "التراث اليهوديّ والحالة الكولونياليّة في فلسطين"، حالةَ القطيعة التي أحدثتها الحركة الصهيونيّة عن التراث اليهوديّ العقلانيّ الذي أُنتِج في إطار الحضارة العربيّة والإسلاميّة، ابتغاء تسويغ فكرتها الكولونياليّة؛ إذ يشير الكاتب إلى أنّ الصهيونيّة قامت بطمس "ما يُعيق تعريفها لِذاتها وهُويّتها، وبما أنّ الحركة الصهيونيّة غربيّة الهوى والمنشأ والأيديولوجيا، فإنّ وجود تراث عربيّ يهوديّ يُعيق تعريف الصهيونيّة لذاتها على أنّها غربيّة. لذلك، تنجح الصهيونيّة إلى الآن في طمس هذا التراث وإغفاله إلى حدّ كبير، على عدّة صعد سياسيّة ودينيّة وأكاديميّة ورمزيّة".

أمّا المقال الأخير في ملفّ العدد، فكتبه د. مهنّد مصطفى، وفيه يعالج موضوع " تحوُّلات الخطاب الصهيونيّ حول المسجد الأقصى المبارك"، مؤكّدًا أنّ فكرة الخلاص الدينيّ للتيّار الصهيونيّ الدينيّ تمرّ في حالة ديناميكيّة صوب وضع المسجد الأقصى في مركز فكرة الخلاص السياسيّ والدينيّ، حيث يشير الكاتب: "ففي حين وضعت المسيانيّة الدينيّة الصهيونيّة، بعد حرب 1967، الأرضَ في مركز الخلاص النهائيّ لشعب إسرائيل (شعب إسرائيل بمفهومه الدينيّ لا القوميّ)، وحوّلتها بذاتها إلى مقدَّس دينيّ، وحيّدت "جبل الهيكل" من منظومتها المسيانيّة أو أرجأته، نشأت مسيانيّة صهيونيّة دينيّة جديدة في عَقد التسعينيّات تعمل على وضع "جبل الهيكل" في مركز المنظومة المسيانيّة، والأرض تحوّلت إلى أطرافها. وقد أسهَمَ اتّفاق أوسلو وما تبعه في تعزيز هذا التوجّه المسيانيّ".

ويتضمّن العدد، كما ذُكِر آنفًا، مقالين خارج الملفّ. المقال الأوّل من بينهما -وهو بقلم الكاتب الفلسطينيّ د. منصور أبو كريم (من قِطاع غزّة)- يعالج مسألة مسيرات العودة في قِطاع غزّة، إذ يقوم بتحليل هذه التجربة الاحتجاجيّة، وتحدّياتها وآفاقها المستقبليّة، ويشير فيه الكاتب قائلًا: "تُعتبر مسيرات العودة أبرزَ عمل جماهيريّ منظّم قام به الشعب الفلسطينيّ خلال السنوات الأخيرة. تقوم فكرة المسيرة على سير اللاجئين في اتّجاه الحدود بين قِطاع غزّة وإسرائيل ابتغاءَ تذكير العالم بحقّ العودة المستنِد إلى القرار الأمميّ ذي الرقم 194. وجاءت فكرة المسيرات تأكيدًا لحقّ عودة اللاجئين الفلسطينيّين إلى ديارهم وممتلكاتهم. وسعت هذه المسيرات إلى إعادة الاعتبار لهذا الحقّ ووضعه -من جديد وبقوّة- أمام العالم".

أمّا المقال الأخير، الذي كتبه الدكتور حسيب شحادة، فهو عبارة عن قراءة نقديّة لكتاب صدر مؤخّرًا حول مكانة اللغة العربيّة في المجال الأكاديميّ الإسرائيليّ، وفيه يقدّم الكاتب قراءة ومراجعة ناقدة للكتاب، من حيث المضمون والنتائج، ويورد توصيات تبتغي تعزيز مكانة اللغة العربيّة في المجتمع العربيّ، ولا سيّما في ما يتعلّق بتأهيل المعلّمين العرب في موضوع تدريس اللغة العربيّة.